تمام فعل الكون ونقصانه وأثره في اختلاف القراءات

د. عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم إيدي

الأستاذ المشارك بقسم القراءات

بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

الملخص

من أبواب النحو التي لها تعلق باختلاف القراءات أبواب النواسخ في النحو عمومًا، وباب كان وأخواتها خصوصاً، حيث وردت وجه علماء علل القراءات جملة من أوجه الخلاف بين القراء مستندين إلى ما ذكره علماء النحو في باب كان وما تصرف منها، بحسب اعتباراتها المختلفة.

وتظهر مشكلة البحث في أن تأثير النواسخ من الأفعال والحروف متكرر في مواضع من الخلف بين القراء، مما يدعو إلى البحث فيها ليكون البحث دراسة تأصيلية في تأثيرها.

ولهذا البحث أهميةحيث إنه يدرس تأثير الكون وتمامه دراسة تأصيلية مع مقارنته بعلم النحو، فهو بحث بيني يتعلق بعلم القراءات من حيث الرواية وعلم النحو من حيث التعليل.

كما يهدف البحث إلى التعريف بالنواسخ التي لها تأثير في القراءات، وبيان أنواع كان وما تصرف منها، مع بيان أثرها ودراسة ما أثرت فيه من خلف القراء.

ومن أهم نتائج هذا البحث ظهور تأثير كان التامة والناقصة في القراءات، ولا أثر لكان الزائدة في اختلاف القراءات، تعددت تصاريف كان التي للتمام والنقصان أثر في اختلاف القراءات، وتعدد معاني الآية على اعتبار التمام والنقصان في كان.

الكلمات المفتاحية: تمام–الكون–نقصانه–أثره – اختلاف – القراءات

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن، وجعله لنا نورًا وهدى وضياءً، والصلاة والسلام على نبينا محمد الشاهد والمبشر والداعي إلى ربه، تلا القرآن على الأمة وزكاها وعلمها الكتاب والحكمة ونشر فيها الهدى والخير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن من الأبحاث البينية التي هي بحاجة إلى دراسة وبيان، ما يتعلق بأثر النواسخ في علم القراءات، حيث يدرس البحث بين علمي النحو القراءات في قضية مشتركة، تُتناول من منظور العلمين.

ومن النواسخ التي لها أثر في تعددت القراءات كان وما تصرف منها، حيث أثر اعتبار نوعها ومعناها في القراءات تأثيرا لفظيا في القراءة.

ولذا جاءت هذه الدراسة مسلطة الضوء على هذا الاختلاف وسببه وتوجيهه.

مشكلة البحث

وتظهر مشكلة البحث في أن تأثير النواسخ من الأفعال والحروف قد تكرر في القراءات، مما يستدعي البحث فيها ليكون البحث دراسة تأصيلية في تأثيرها.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في أنه بدراسة من الدراسات البينية، حيث يدرس تأثير الكون وتمامه فل اختلاف القراءات، دراسة تأصيلية مع مقارنته بعلم النحو، وتأثير الكون وتمامه دراسة نحوية، وتأثيرها في علم القراءات، فهو بحث بيني يتعلق بعلم القراءات وعلم النحو معًا.

أهدافالبحث

١. التعريف بالنواسخ من الحروف والأفعال.

٢. بيان أنواع تأثير النواسخ في الكلام.

٣. بيان أنواع كان في كلام العرب.

٤. بيان أثر تمام الكون ونقصانه في اختلاف القراءات.

٥. دراسة مواضع الخلاف الدائر بين تمام الكون ونقصانه عند القراء.

منهجالبحث

انتهجت المنهج الوصفي التحليلي.

الدراساتالسابقة: لم أقف على دراسة في هذا الموضوع ولذا استعنت الله في كتابته.

هيكل البحث:

جعلت البحث في مقدمة متضمنة مشكلة البحث وأهميته،وأهدافه، ومنهجه، وبعدها هيكل البحث كالتالي:

المبحث الأول: النواسخ وأنواعها وتأثيرها في الكلام العربي.

المبحث الثاني: أنواع الكون في كلام العرب.

المبحث الثالث: دراسة تأثير تمام الكون ونقصانه في القراءات.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

النواسخ وأنواعها وتأثيرها في الكلام العربي

النواسخ في علم النحو جمع ناسخ، وهو العوامل التي تغير أواخر المبتدأ والخبر، وتغير حكمهما واسميهما، وتغير أواخرهما، من مبتدأ وخبر له، إلى اسم لهما وخبر.

ولذلك يُتْبِعُ النحاة باب المبتدأ والخبر بالنواسخ، بعد أن يذكروا أحوالهما قبل دخول النواسخ عليهما.

ثم إن النواسخ للمبتدأ والخبر تنقسم إلى قسمين اثنين(١):

الأول: النواسخ من الحروف.

الثاني النواسخ من الأفعال.

أمّا النواسخ من الحروف فهي إن وأخواتها، وما وأخواتها، ولا التي لنفي الجنس.

وأمّا النواسخ من الأفعال وهي كان وأخواتها، وأفعال المقاربة، وظن وأخواتها.

ويختلف عمل النواسخ بحسبتها، فإن وأخواتها تنصب المبتدأ وترفع الخبر، ومثلها ما وأخواتها، وأمّا لا وأخواتها فإنها ترفع المبتدأ وتنصب الخبر مثل كان.

وأمّا كان وأخواتها ومثلتها أفعال المقاربة فإنها ترفع المبتدأ وتنصب الخبر على الأخير، وفي كان مزيد بيان لأجله كتبت هذا البحث.

وأمّا ظن وأخواتها فإنها تنصب المبتدأ والخبر معًا.

(١) ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/ ٢٢٠

المبحث الثاني

أنواع الكون في كلام العرب

تعددت أنواع كان في كلام العرب، حيث لم تجئ على حال واحدة. وقد جاءت كان وما تصرف منها وأخواتها في كلام العرب على ثلاثة استعمالات(١):

الاستعمال الأول: استعمالها ناقصة.

الاستعمال الثاني: استعمالها تامة.

الاستعمال الثالث: استعمالها زائدة.

أما الناقصة فهي الأكثر في الاستعمال، وهي التي تحتاج إلى اسم وخبر ليكتمل بهمها معناها، كقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان: ٧٠].

وهي التي قال فيها ابن مالك رحمه الله:

١٤٣ - تَرْفَعُ كَانَ الْمُبْتَدَا اسْماً، وَالْخَبَرْ تَنْصِبُهُ كَـ «كَانَ سَيِّداً عُمَرْ»(٢)

وأمّا التامة فهي التي تكتفي بمرفوعها ويعرف فاعلا لها، ولا تحتاج إلى خبر، وتأتي بمعنى ثبت ووقع، وحدث وحضر، ووجد، أو حصل، أو تم(٣)، كقول الله تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) [البقرة: ٢٤٢].

وهي المرادة بقول الإمام ابن مالك في ألفيته:

---

(١) ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/ ٢٨٣، ومغني اللبيب ص: ٨٣٣

(٢) ألفية ابن مالك، بيت رقم ١٤٣

(٣) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس ٣/ ٧٥، ولسان العرب ١٣/ ٣٦٥

١٥٠ - ..... وَذُو تَمَامٍ مَا بِرَفْعٍ يَكْتَفِي[١]

وأمّا كان الزائدة، وتسمى صلة، فهي التي لا تعمل في اسم ولا خبر، بل تفيد التأكيد، وضابطها أن تكون بين متلازمين كالمبتدأ والخبر والصلة والموصول، مثل: زيد كان قائم[٢].

وكقول الفرزدق:

فكيف إذا رأيتَ ديارَ قومٍ ... وجِيران لنا كانوا كرامِ[٣]

وقَوْل الطِّرِمَّاح بْنِ حَكِيمٍ:

وَإِنِّي لآتِيكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى مِنَ الأَمْرِ، واسْتِنْجازَ مَا كانَ فِي غَدِ[٤]

وكان الزائدة هي التي عناها ابن مالك بقوله:

١٥٤ - وَقَدْ تُزَادُ «كَانَ» فِي حَشْوٍ كَـ «مَا كَانَ أَصَحَّ عِلْمَ مَنْ تَقَدَّمَا»[٥]

(١) ألفية ابن مالك، بيت رقم ١٥٠.

(٢) ينظر شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١/ ٢٤١

(٣) الكتاب سيبويه ٢/ ٥٣

(٤) لسان العرب ١٣/ ٦٧

(٥) ألفية ابن مالك، بيت رقم ١٥٤

المبحث الثالث

دراسة تأثير تمام الكون ونقصانه في القراءات

ظهر تأثير الكون تماماً ونقصاناً في القراءات على حالين اثنين:

الأولى: حال استعماله بصيغة الفعل الماضي.

الثانية: حال استعماله بصيغة المضارع.

وأبدأ بذكر الحال الأولى في اختلاف القراءات، وهي استعماله بصيغة الفعل الماضي، وأرتبها حسب ورودها في سورها في المصحف.

استعمال الكون بصيغة الفعل الماضي

وقد جاء في موضعين في القرآن الكريم دائرًا بين الكون والتمام، وهي:

أولًا: قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾[النساء: ١١].

فقد قرأها نافع وأبو جعفر برفع (واحدة)(١)، ووجها أن كان هنا تامة تكفي بمرفوعها، ولا تحتاج إلى خبر، فواحدة فاعل، أو صفة قامت مقام الفاعل المحذوف المعلوم من السياق، والمعنى حينئذ: وإن وُجِدت بنتٌ واحدة فلها النصف.

وقرأها باقي القراء بنصف (واحدة) خبرًا لكان الناقصة واسمها ضمير يعود إلى البنت، وتقديره: وإن كانت البنت واحدة.

ثانيًا: قوله الله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[يس:

(١) ينظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٤ و شرح طيبة النشر في القراءات العشر لدويري ٢/ ٢.

٥٣].

وقرأها الإمام أبو جعفر برفع (صيحة)(١)، على تقدير كان تامة، والمعنى: إن حصلت إلا صيحة.وقرأها باقي القراء بنصب صيحة على أن كان ناقصة، والتقدير ما كانت الأخذة إلا صيحة واحدة.

والخلاف في هذه الآية معدود من الخلافات التي وجهها الإمام ابن الجزري في النشر، على أنه لم يوجه كل خلاف، إنّما وجه مواضع في كتابه، دون التزام بتوجيه كل خلاف فيه(٢).

استعمال الكون بصيغة الفعل المضارع:

أولًا: قول الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾[البقرة: ٢٨٢].فقد قرأ الإمام عاصم بنصب (تجارة حاضرة)(٣)، على أن تكون ناقصة، واسمها ضمير مستتر، وتجارة خبرها، وحاضرة صفة للخبر، والتقدير حينئذ: إلا أن تكون المعاملة تجارة.وقرأها باقي القراء برفع الاسمين معا (تجارة حاضرة)، على تقدير أن الفعل تكون فعل ناقص اكتفى بمرفوعه، والتقدير: إلى أن تحصل تجارة حاضرة(٤).

ثانيًا: قول الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[النساء: ٢٩].حيث قرأ

(١) ينظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣

(٢) ينظر المرجع السابق.

(٣) ينظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٣٧ و شرح طيبة النشر في القراءات العشر لابن الظريص ٢١٥.

(٤) ينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٤/ ٣٨

الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر بنصف (تجارة)(١)، ووجه الفعل (تكون) ناقص، واسمه ضمير مستتر، وخبره (تجارة)، والتقدير إلا أن تكون المعاملة تجارة. وقرأها باقي القراء برفع (تجارة)، ووجه أن الفعل (تكون) تام على هذه القراءة، يكتفي بمرفوعه، والتقدير: إلا أن تحصل تجارة. وتحتمل هذه القراءة وجهً آخر، وهو أن نجعل (تجارة) اسمًا للفعل (تكون) و(تديرونها) خبرًا له(٢).

ثالثًا: قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٠]. وقرأ الأمام نافع وابن كثير وأبو جعفر برفع (حسنة)(٣)، فاعلاً للفعل تك، على اعتباره فعلا تاما يكتفي بمرفوعه، والمعنى: وأن تُفعل حسنة يضاعفها(٤). وقرأها باقي القراء بنصب (حسنة)، وهو على هذه القراء خبر للفعل الناقص (تك). وأصل الفعل (تكون) ثم حذفت منه النون تخفيفًا(٥)، كما قال امرؤ القيس في معلقته:

٢٣ – وَإِنْ تَكُ قَدْ ساءَتكِ مني خَليقةٌ فَسُلّي ثيَابي من ثيابِكِ تَنْسُلِ(٦)

رابعًا: قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾[الأنعام: ١٣٩].

---

(١) ينظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٤، وكتاب السبعة ٢/ ٣٤

(٢) ينظر حجة القراءات لابن خالويه ص: ١٠٣.

(٣) ينظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٤.

(٤) ينظر حجة لأبي علي الفارسي ٣/ ١٦.

(٥) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس ٣/ ٧٩.

(٦) ديوان امرئ القيس ص: ٣٣

وقرئت (ميتة) في هذه الآية بالرفع والنصب، أمّا الرفع فهو المروي عن ابن كثير وأبي جعفر وابن عامر(١)، ووجهه أن الفعل (يكن) في قراءتهم فعل تام يكتفي بمرفوعه.وأمّا النصب فقد روي عن سائر القراء العشرة، على اعتبار أن الفعل (تكن) ناقص يرفع اسمًا، وينصب خبرًا، واسمه هنا ضمير مستتر، وخبره: ميتة، والتقدير: إلا أن تكن الأنعام ميتة(٢).

خامسًا: قول الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[الأنعام: ١٤٥].

حيث قرأها الأمام أبو جعفر وابن عامر برفع (ميتة)(٣)، فاعلًا للفعل التام (يكون).وقرأه سائر القراء بنصب (ميتة) خبرًا للفعل الناقص (يكون)، واسمه ضمير مستتر، وتقديره: إلا أن يكون المأكول ميتة(٤).

سادسًا: قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَا﴾[الأنبياء: ٤٧]، (مثقال) في الأنبياء ولقمان،حيث اختلف القراء في (مثقال) فقرأها الإمام نافع وأبو جعفر برفع اللام(٥)، على أن كان تامة، والمعنى: وإن وُجد مثقال حبة.وقرأها باقي القراء بنصب (مثقال) على أن كان ناقصة، واسمها الضمير المستتر، وخبرها (مثقال)، والتقدير وإن كان العمل مثقال

(١) ينظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٦٢ ،والهادي في شرح طيبة النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٢١.

(٢) ينظر الحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي ٣/ ٤١ ،ومعاني القراءات وعللها ١/ ٥٩.

(٣) ينظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٦٦.

(٤) ينظر الحجة في القراءات لابن زنجلة٢٧٦.

(٥) ينظر كتاب السبعة ص: ٤٥٣،والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٢٤

حبة[1].

سابعًا: قول الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[الحشر: ٧].

حيث اختلف القراء في (تكون دولة) فقرأها أبو جعفر وهشام بخلف عنه بتأنيث (تكون) ورفع (دولة)[2]، والفعل (تكون) على هذه القراءة تام يكتفي بمرفوعه[3].وقرأه سائر القراء وهو الوجه الثاني لهشام بنصب (دولة)، والفعل (تكون) على هذه القراءة ناقص، واسمه ضمير مستتر وخبره (دولة)[4].

الخاتمة:

أحمد الله تعالى وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن دراسة المسائل اللغوية النحوية في القراءات من المواضيع التي ينبغي العناية بها، لما لها من أهمية في التأصيل للمسائل وتقريرها، ومنها موضوع التمام والنقصان في الكون وأثره في اختلاف القراءات، ومن أهم نتائج هذا البحث:

١. أهمية إفراد المسائل النحوية في القراءات بأبحاث تأصيلية.

٢. تأثير الكون تمامًا ونقصانًا في القراءات.

---

(١) ينظر إتحاف فضلاء البشر ص٣٩٤.

(٢) ينظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٨٦.

(٣) ينظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٧٢.

(٤) ينظر شرح طيبة النشر في القراءات العشر لابن الناظم ص٣١٨

٣. تعدد معاني الآية بتعدد اعتبار نوع كان تمامًا ونقصانًا.

٤. تعرض علماء النحو لكان التامة والناقصة كان مقرونًا بالاستشهاد بالقراءات، مما يجعل القرآن حجة للقواعد النحوية.

٥. عناية علماء القراءات بالرواية والأمانة فيها دون تغيير.

وأوصي في ختام هذا البحث، بدراسة الاحتجاج بالقراءات على المسائل النحوية عند علماء النحو.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.